



دليلا السماع والقياس وأثرهما في المدرسة البغدادية

محمد مفتاح محمد شويخة*

محمد هدية سالم الرزيني**

الملخص:

السماع والقياس عند البغداديين يتلخص في التالي :

- كانت نشأة النحو الأولى في أحضان المدرسة البصرية، وتطور عندما حصل التنافس بينها وبين المدرسة الكوفية .
- كاد النحو أن يكتمل على أيدي هاتين المدرستين إلا بعض الآراء التي تعد بمثابة تعليقات إضافية لا قواعد أساسية.
- يعتبر السماع والقياس من أهم أدلة النحو ويمكن توضيح الاستدلال بهما في الشكل الآتي 1:

الاستدلال في اللغة

السماع

تجريد الأقيسة

تجريد الأصول

علة محمول أو مقيس

مطرّد يقاس عليه

شاذ لا يقاس عليه

رد الفرع أو المعدول به

الأصول أو الاستصحاب

- توسع الكوفيون في القياس فإذا كان شرط صحة القياس عند البصريين الكثرة، فإن ذلك أمر لا يحرص عليه الكوفيون

- أطلق الأنباري على السماع مصطلح " النقل " وحدده العلماء بزمان ومكان مخصوصين .

- من أنكر القياس فقد أنكر النحو في نظر الأنباري وما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب في نظر ابن جني.

- المدرسة البغدادية مدرسة قياس فهي أقرب في منهجها إلى منهج المدرسة الكوفية من المدرسة البصرية، وجل ما أضاف روادها من تعليقات اعتمدوا فيها على القياس لا على السماع .

- أهم رواد المدرسة البغدادية هم: أبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني، وابن كيسان، الزجاجي، الزمخشري، الأنباري، العكبري، ابن يعيش، الرضى الاسترابادي، ابن الشجري.

* قسم اللغة العربية كلية التربية الجامعة الإسلامية، زيتين، mo87ftah@gmail.com

** قسم اللغة العربية كلية التربية الجامعة الإسلامية، زيتين، mo.alrziney@asmarya.edu.ly

¹ . انظر: تمام حسان، الأصول، ص 64 .

المقدمة

الحمد لله أهل الحمد والثناء، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للخليفة جمعاء، محمد وعلى آله وصحبه الشرفاء الكرماء، وبعده،

إن من أجل العلوم علم يتوصل به إلى فهم الكتاب والسنة، ولا سبيل إلى فهمها إلا بمعرفة اللسان الذي جاء به لفظهما وهو اللسان العربي، وقوام هذا اللسان النحو، فعلم النحو من أسمى العلوم قدراً وأنفعها أثراً، فقيمة المرء بما تحت لسانه فله در من قال: (1)

النحو يبسط من لسان الألكن *** والمرء تكرمه إذا لم يلحن
وإذا طلبت من العلوم أجلها *** فأجلها حقاً مقيم الألسن

لذلك اعتنى العلماء بعلم العربية بما اعتناء فقد بدأوا في أول عهدهم به باستقراء أهله لتبني قواعدهم على أوطد أساس، فسمعوا من الأعراب، وقاسوا على ما سمعوا، وكان لهم آراء؛ القوي منها ما اجتمعوا عليه وكلما قل الإجماع زاد الضعف، وتركوا البعض على حاله. وهذه الأنواع من الاستقراء عرفت فيما بعد بأصول النحو وأدلته.

إن السماع دليل نحوي لا يختلف عليه علماء العربية، ولكنهم اختلفوا في طريقة القياس عليه، فقاس بعضهم على القليل واشترط آخرون الكثرة، لذلك ظهر في النحو العربي ما يعرف بالمذاهب النحوية، أو ما يعرف بـ "المدارس النحوية" ابتداءً بالبصرية وانتهاءً بالمصرية، ولكل مدرسة روادها.

والمدرسة البغدادية إحدى هذه المدارس؛ بدأت على يد ابن كيسان (2)، وتأسس بنياها وظهر على يد أبي علي الفارسي (3) وتلميذه ابن جني (4).

(1) إسحاق بن خلف البهراني، راجع البيتين في عيون الأخبار "كتاب العلم والبيان" الإعراب واللحن، ج2 ص157، والعقد الفريد "كتاب الياقوتة في العلم والأدب" باب في الإعراب واللحن" ج2 ص479.

(2) ابن كيسان النحوي محمد بن أحمد بن كيسان أبو الحسن ومن أشهر كتبه البرهان، التصريف، الحقائق، علل النحو، الكافي في النحو، والوقف والابتداء. ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي (ت: 764هـ) وينظر الأعلام المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي دمشقي (المتوفى: 1396هـ) وطبقات النحويين واللغويين: أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت 379هـ) تح: محمد أبو الفضل إبراهيم / مصر / ط: 1954/1م.

(3) الفارسي: هو أبو علي الحسن الفارسي أحد الائمة ما فعلا العربية ومن أشهر كتبه (تذكرة) وكتاب (المقصود والممدود) ينظر: وفيات الأعيان 80/2، وإنباه الرواة 108/1، والبلغة في تراجم أئمة النحو 108/1، والأعلام 179/2-180، وسير أعلام النبلاء 379/1.

(4) ابن جني هو أبو الفتح عثمان ابن جني الموصلني النحوي المشهور، وأشهر كتبه (الخصائص) و(سر مناعة الإعراب) ت 392هـ، ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان 3/ 246 نزهة الأئمة في طبقات الأدباء أبو بكر الأنباري 1/245، والأعلام للزركلي 4/204.



وبعد أن وصل النحو درجة من النضج والاستقرار جراء تلك المنافسة بين المدرستين، وعندما ترأس أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب⁽¹⁾ علماء الكوفة، ومحمد بن يزيد المبرد⁽²⁾ علماء البصرة، انتقل هذان العالمان للتعليم في بغداد فاشتد بينهما الصراع وكثرت المناظرات مما جعل الدارسين يقبلون عليهما معا ويأخذون من كليهما، ثم يختارون من هذا وذلك ما يراه كل واحد مناسباً لتفكيره واتجاهه⁽³⁾.

وهكذا قامت المدرسة البغدادية على مبدأ الانتخاب من آراء المدرستين البصرية والكوفية جميعاً.

ولما توسعت دائرة الإسلام بالفتوحات الإسلامية انتقلت العلوم الإسلامية إلى الأراضي التي فتحها المسلمون، كما حدث ذلك في الأندلس، وكان علم النحو من بين هذه العلوم، فقد لقي في البلاد نشاطاً ملحوظاً مر بشبه الخطوات التي مر بها النحو في المشرق، فكان أول كتاب يدخل الأندلس، كتاب الكسائي الذي أدخله جودي بن عثمان المروزي⁽⁴⁾، وأول من صنف به في النحو⁽⁵⁾، ثم كتاب سيويوه، فلما دخل هذا الأخير عكف عليه الأندلسيون، دراسة وحفظاً، فطبع النحو الأندلسي بالطابع البصري، ثم بدأ الأندلسيون محاولاتهم في التأليف، وعرف من أعلامهم أبو علي القالي⁽⁶⁾ مؤلف الأمالي، والبارع. وابن خروف⁽⁷⁾، وابن عصفور الإشبيلي⁽⁸⁾ وغيرهم⁽⁹⁾. فإذا كانت هذه هي الصورة في الأندلس، فمن الطبيعي أن تنشط دراسة دراسة النحو في مصر مبكرة، وأول نحوي حمل راية النحو بمصر بمعناه الدقيق، ولأد بن محمد التميمي⁽¹⁰⁾، ثم

(1) د. أحمد بن يحيى بن زيد، أبو العباس، المعروف بثعلب، عالم باللغة والنحو الكوفي، راوية للشعر، محدثاً، من تصانيفه: الفصح، قواعد الشعر، مجالس ثعلب، ت 291 هـ. انظر: الأعلام 1/267، بغية الوعاة 1/396.

(2) محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، من أئمة اللغة والأدب، من تصانيفه: الكامل، المقتضب، المذكر والمؤنث، ت 286 هـ. انظر: الأعلام 7/144، إنباه الرواة 3/241.

(3) انظر: إميل يعقوب، موسوعة علوم اللغة، 8/397.

(4) جودي بن عثمان العبسي المروزي، نحوي، أخذ النحو عن الفراء والكسائي، وهو أول من أدخل كتاب الكسائي إلى الأندلس وله كتاب في النحو، ت 198 هـ. انظر: بغية الوعاة 1/490 والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة 12، وإنباه الرواة 1/306.

(5) انظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 289.

(6) إسماعيل بن القاسم بن عيدون، عالم باللغة والأدب، تعلم في بغداد، من تصانيفه: أمالي القالي، البارع، المقصور والممدود والمهموز، ت 356 هـ. وانظر الأعلام 1/321، وإنباه الرواة 1/239.

(7) علي بن محمد بن علي الحضرمي، أبو الحسن، المعروف بابن خروف، عالم بالعربية في الأندلس، من تصانيفه: شرح كتاب سيويوه، شرح الجمل، الجمل، ت 609 هـ. انظر: الأعلام 4/330، وبغية الوعاة 2/203، وإنباه الرواة 4/192.

(8) علي بن مؤمن بن محمد الإشبيلي، أبو الحسن، المعروف بابن عصفور، عالم بالنحو الأندلسي له تصانيف كثيرة منها: المقرب، المتع في التصريف، شرح الجمل، ت 669 هـ. انظر الأعلام 5/27 وبغية الوعاة. 2/380.

(9) انظر: سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو العربي، ص 96.

(10) الوليد بن محمد التميمي المصري، وولاد اسمه الذي اشتهر به، بصري الأصل نشأ في مصر، وكان نحويًا مجودًا، ت 263 هـ. انظر: إنباه الرواة

صار النحاة المصريون يرحلون إلى البصرة وإلى بغداد طوال القرنين الثاني والثالث وأوائل القرن الرابع، وكانت المدرسة المصرية وأساتذتها غالب وجهتهم إلى بغداد⁽¹⁾.

فهذه المدارس النحوية بشكل موجز، ومن الملاحظ [أنك حين تنظر في التراث النحوي لا تجد جمهرة النحاة من بصريين وكوفيين وغيرهم، قد اختلفوا في أصول هذا العلم، ولم ينطلق هؤلاء من أصول متعارضة، ولكنهم قد اختلفوا في مسائل فرعية تتصل بالتعليل والتأويل، فكان هؤلاء طريقة أو مذهب ولأولئك طريقة أو مذهب آخر]⁽²⁾ وقد تناول هذا البحث دليلين من أدلة النحو، (السماع والقياس)، ورأي المذهب البغدادي فيهما فاعتمد على مجموعة من المصادر والمراجع من أهمها الاقتراح للسيوطي، ولمع الأدلة، والإنصاف للأنباري، والمدارس النحوية لشوقي ضيف، ثم قُسم الموضوع كالاتي: مقدمة، ثم تمهيد في ظهور المدارس النحوية و نشأتها ثم مطلبين ومجموعة محاور:

- المطلب الأول: في حد السماع والقياس، وفيه محوران

المحور الأول - في السماع.

المحور الثاني - في القياس.

- المطلب الثاني: في المدرسة البغدادية وذكر أهم روادها، وفيه ثلاث محاور.

المحور الأول - نبذة تاريخية.

المحور الثاني - نشأة المذهب البغدادي وتكوينه.

المحور الثالث - في بيان آراء بعض رواد المذهب.

ثم جُمع ما انتشر فيه في خاتمة حملت شذى البحث، وذيل بفهارس وثبتت المصادر والمراجع.

354/3، وبغية الوعاة. 318/2.

(1) انظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص 331.

(2) الموسوعة العربية العالمية، 22/466.



المطلب الأول: في حد السماع والقياس

المحور الأول: السماع

السماع في اللغة: مصدر من الثلاثي سَمِعَ يَسْمَعُ سَمَاعاً، سَمِعَهُ وَ سَمِعُوا وَسَمَاعَةً، وهو حس الأذن⁽¹⁾، وَسَمِعَ كَعِلِمَ فَتَقُولُ سَمِعَ وَيَجُوزُ سَمِعَا، وَقِيلَ بِالْفَتْحِ الْمَصْدَرُ وَبِالْكَسْرِ الْاسْمُ⁽²⁾ ((والمسموع والذكر (ج) أَسْمَاعٌ وَيُقَالُ سَمِعَا وَطَاعَةٌ أَيْ أَسْمَعُ سَمِعَا، وَأَطِيعُ طَاعَةً، وَسَمِعَا وَطَاعَةٌ أَيْ أَمْرِي سَمِعَ وَطَاعَةٌ، وَأَخَذْتُ عَنْهُ سَمِعَا وَسَمَاعًا، وَسَمِعَكَ إِلَيَّ أَسْمَعُ مَنِي، وَهُوَ بَيْنَ سَمِعِ الْأَرْضِ وَبَصَرِهَا أَيْ طَوْلَهَا وَعَرْضِهَا))⁽³⁾.

أما في الاصطلاح: فالسمع ((هو ما ثَبَّتَ فِي كَلَامٍ مِنْ يُوَثِّقُ بِفَصَاحَتِهِ، فَشَمِلَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَكَلَامَ نَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَلَامَ الْعَرَبِ، قَبْلَ بَعْثِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَفِي زَمَنِهِ وَبَعْدِهِ، إِلَى أَنْ فَسَدَتْ الْأَلْسِنَةُ بِكَثْرَةِ الْمَوْلِدِينَ، نَظْمًا وَنَثْرًا مِنْ مُسْلِمٍ أَوْ كَافِرٍ))⁽⁴⁾ جعل السيوطي⁽⁵⁾ في هذا التعريف السماع في مدة محدودة وهي المدة التي حددها علماء اللغة الأوائل لاستقراء اللغة من أهلها وتدوينها ثم التقييد على كلامهم، ولا يعد من عاش خارج هذا الإطار أهلاً ليسمع منه، وهو إما موغل في القدم خارج عن صفاء الفصاحة القححة، أو متأخر مخالط لغير العرب ففسد لسانه ((ومن المعروف أن القدماء اعتمدوا في جمع اللغة على السماع وذلك لاهتمامهم بالرواية والمشافهة، ومن ثم فالدرس اللغوي بدأ عندهم باللغة المنطوقة، كما كان السماع مرتبطاً بـ—————ن يسمع منه وهو

" ابن اللغة" أي العربي البدوي القحح الذي لم تخالط لغته لغة غيره من الأعاجم))⁽⁵⁾.

وقد عرّف الدكتور تمام حسان⁽⁶⁾ مصطلح السماع ومرادفه " النقل " وطرق أئمة اللغة فيهما فقال :

((لقد عرفنا أن المنقول هو المسموع من كلام العرب، الفصيح، بطريقة الرواية والمشافهة ...))⁽⁷⁾.

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط3، 1414هـ، مادة سمع.

(2) انظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، مادة سمع.

(3) إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات وغيرهم، العجم الوسيط، تح مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، مادة سمع.

(4) جلال الدين السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، تح: د. أحمد سليم الحمصي، ومحمد أحمد القاسم، ط 1988م، ص48.

(5) د. نادية رمضان النجار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، مراجعة: د. عبدة الراجحي، دار الوفاء، الإسكندرية، ص154 .

(6) تمام حسان، عالم نحوي ولغوي عربي، يعد هو أول من استنبط موازين التنعيم وقواعد النبر في اللغة العربية، من تصانيفه: اللغة العربية مبناها ومعناها، الأصول، مناهج البحث في اللغة، ت 2011م . شبكة المعلومات الدولية .

(7) تمام حسان، الأصول، ص63.

فالسماع هو ((الأخذ المباشر للمادة اللغوية عن الناطقين بها))⁽¹⁾ وعرفه الأنباري أبو البركات⁽²⁾ بأنه ((هو الكلام العربي الفصيح، المنقول النقل الصحيح، الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة، وعلى هذا يخرج ما جاء شاذاً من كلام غير العرب من المولدين و غيرهم، و ما جاء شاذاً في كلامهم))⁽³⁾ فالأنباري يعبر عن السماع "بالنقل" وهو الكلام الفصيح، وأول كلام فصيح هو القرآن الكريم بجميع قراءاته، فهو حجة في النحو ((فكل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواتراً أم أحاداً أم شاذاً))⁽⁴⁾، ثم السنة النبوية النبوية بشرط صحة تواترها باللفظ لا بالمعنى، ثم كلام العرب شعره ونثره، بشرط صحته الزمانية والمكانية، ومعلوم أن الذين أخذت عنهم العربية و عليهم وقف اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قبائل الوسط كقيس، وقيم، وأسد، ولم يؤخذ عن حضري قط ولا من قبائل الأطراف، فلم يأخذوا عن لحم وجدام لمجاورتهم أهل مصر والقبط، والحيرة لمخالطتهم أهل فارس، واليمن لمخالطتهم للهند والحبشة.⁽⁵⁾

كثيراً ما نقراً قول البصريين، "نحن نأخذ اللغة من حرشة الضباب وأكلة اليرابيع، وأنتم تأخذونها من أكلة الشوايزر والكواميخ" أرادوا الكوفيين⁽⁶⁾.

وغالبا ما نسمع قول القدامى: ((إن البصريين أصح قياساً لأنهم لا يلتفتون إلى كل مسموع، ولا يقيسون على الشاذ، والكوفيين أوسع رواية))⁽⁷⁾.

إن السماع دليل نحوي يُجمع عليه كل علماء الأصول وكل النحاة وكل المدارس، وهو الأصل لباقي أدلة النحو؛ فالقياس والإجماع واستصحاب الحال كلها أدلة ترجع إلى السماع، أما المشكلة القائمة والمختلف عليها، هي اتساع دائرة السماع بحيث يكون البيت الواحد حجة لبناء قاعدة عليه كما هو الحال عند الكوفيين، أو وضع ضوابط كمّ وكيف السماع، كما هو الحال عند البصريين. وعلى هذا الحال يسأل من يسأل هل في الإمكان وضع قاعدة نحوية على المسموع الشاذ أم لا؟ ((وقد يقال إنه في مناقشة هذا الشاذ وفهمه وبيان شدوده فائدة تعليمية كبيرة لبيان الأصل المطرد، ولا أقول باعتماده أصلاً، فتتفرع المسائل ولا نستطيع

(1) على أبو المكارم، أصول التفكير النحوي، دار غريب، القاهرة، ط1، 2007م ص33.

(2) عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الأنباري، أبو البركات، ولقب بالأنباري نسبة إلى بلدة الأنبار، قرأ على ابن الشجري، والجواليقي، له عدة تصنيفات منها: الانصاف في مسائل الخلاف، أسرار العربية، الإغراب في جدل الإغراب، ت 579هـ. انظر: الأعلام 3/327-328.

أئمة النحو اللغة 34 بغية الوعاة 2/86.

(3) لمع الأدلة في أصول النحو 3/30-31.

(4) جلال الدين السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، ص48.

(5) انظر: جلال الدين السيوطي، المزهرة في علوم اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، تح فؤاد علي منصور، ط1، 1998م 1/167-168.

(6) انظر: د. عفاف حسانين، في أدلة النحو، المكتبة الأكاديمية، 1996م، ص18.

(7) السيوطي، الاقتراح، ص100.



ضبطها))⁽¹⁾ وخاصة لو كان هذا الشاذ يمثل لهجة من اللهجات ؛ فلم يجدوا هنا سوى أن يستقروا الغالب والأفصح والأشهر، ثم يضعوا القاعدة العامة بمقتضاه مع الإشارة إلى ما اختلفت فيه اللهجات، كما في الأسماء الستة وإعرابها بالحركات عند بعض العرب وبإلزامها القصر عند آخرين، كما في لغة الحارث بن كعب وخثعم وزبيد وكنانة من جعل المثنى بالألف دائما⁽²⁾.

المحور الثاني: القياس

القياس في اللغة يدور معناه حول التقدير، والتعرف على شيء ما، بشيء آخر أكد منه وهو مصدر للفعل قاس الشيء يقيسه قياسا وقياسا، واقتاسه وقيسه إذا قدره، وقاس الشيء يقوسه قوسا لغة قاسه⁽³⁾. فالقياس تقدير الشيء بالشيء، والمقدار مقياس، وقايست الأمرين مقايسة وقياسا قدرت أحدهما على الآخر⁽⁴⁾؛ قال جرير⁽⁵⁾:

يخزي الوشيظُ إذا قالَ الصميمُ لهم * * * عُذّوا الحصىَ ثمّ قيسُوا بالمقاييسِ

أما في الاصطلاح : فهو ((مقارنة كلمات بكلمات، أو صيغ بصيغ، أو استعمال باستعمال، رغبة في قياس النحو، وحرصا على اطراد الظواهر اللغوية))⁽⁶⁾.

القياس مصطلح عام يستخدمه كل حسب حرفته، ف((له عدة مفاهيم منطقية وكلامية وفقهية، وتتداوله عدة مراحل، فمن ملاحظة الظاهرة المطردة ووضع الضوابط التي تحكمها إلى ما يعرف بالاستقراء إلى حمل شيء على آخر بجامع، وهو ما يسمى القياس الشكلي الذي أصبح عملية شكلية لها أركان))⁽⁷⁾.

وعرفه الأنباري بأنه ((حمل غير المنقول على المنقول إذ كان في معناه، كرفع الفاعل ونصب المفعول في كل مكان وإن لم يكن كل ذلك منقولاً عنهم وإنما لما كان غير المنقول عنهم من ذلك في معنى المنقول، كان محمولاً

(1) د. عفاف حسنين، في أدلة النحو، المكتبة الأكاديمية، 1996م، ص 25

(2) انظر: نفسه ص 26 .

(3) انظر: ابن منصور، لسان العرب، مادة "قيس" .

(4) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، 1979م، مادة "قوس" .

(5) البيت من البحر البسيط، انظر: ديوان جرير: جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي الكلبي اليربوعي (28 . 110 هـ)، معنى الوشيظ: الغريب والدخيل على القوم، ومعنى الصمم: الصريح النسب، الحصى: العدد الكثير.

(6) ابن هاشم الأنصاري، شرح محمد المرحجي، مكة النهضة العربية، بيروت، ط2، 1986م، ص 66.

(7) د. علي ابو القسم عون في علم أصول النحو العربي، دار الوليد، ليبيا، ط2، 2012م، ص 89.

عليه، وكذلك كل مقيس في صناعة الإعراب⁽¹⁾.

وقال الأشموني⁽²⁾ عند كلامه عن المصادر: ((والمراد بالقياس هنا أنه إذا ورد شيء ولم يُعلم كيف تكلموا بمصدره فإنك تقيسه على هذا، لا أنك تقيسه مع وجود السماع))⁽³⁾.

أما الدكتور تمام حسان فيقول عن القياس: ((تغير المنقول إما أن يكون استعمالاً لا يتحقق القياس فيه بأن نبي الجملة التي لم تسمع من قبل على نمط الجملة التي سمعت عن العرب والكلمات التي نشئها بالارتجال أو الاشتقاق أو التعريب أو النحت أو الإلحاق على غرار ما سمع من قبل، وإما أن يكون غير المنقول نسبة حكم نحوي حكم النحاة به من قبل على أصل مستنبط من المسموع))⁽⁴⁾. إذا كانت أدلة النحو أربعة - كما مر - وهي السماع، والقياس، والإجماع، واستصحاب الحال⁽⁵⁾ وأصل هذه الأدلة السماع إذ لا يكون قياس دون سماع، وكل العلماء يجمعون على السماع ثم يختلفون في القياس عليه، ونوع المسموع المقاس عليه، وقد اشتهر مفهوم القياس ((عند النحاة في القرن الرابع ومن أبرزهم، ابن جني⁽⁶⁾ الذي أكثر من الحديث عن القياس في كتابه "الخصائص" ولكن دون أن يضع تعريفاً محدداً له أو يبين أركانه وأقسامه، وغير ذلك مما يظهر هذا المفهوم الجديد، ثم جاء الأنباري، فكان أول من تبلور على يديه هذا المفهوم الجديد))⁽⁷⁾ إن القياس في النحو باب لا يمكن الاستغناء عنه فالنحو جله قياس⁽⁸⁾، والخلاف بين العلماء في اتساع القياس وعدمه ولكن الكل يقيس ((فإذا كان شرط صحة القياس عند البصريين الكثرة فإن ذلك أمر لا يحرص عليه الكوفيون))⁽⁹⁾.

ولم يكن القياس حديث نشأة في هذا العلم بل إن ذكره يقترن بذكر أوائل النحاة، فمن المؤلف أن نجد عبارة "أول من مد القياس وشرح العلل"⁽¹⁰⁾ و أيضاً "وله اختيار في القراءة على قياس العربية"⁽¹¹⁾ وكذلك

(1) الإعراب في جدل الإعراب، ص 45 - 46.

(2) علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني، نحوي، من فقهاء الشافعية، أصله من الشحون "بلدة مصر، من تصانيفه شرح ألفية ابن مات، ضد المسج، تضم جمع الجوامع، ت 900 هـ انظر العام 5/10 معجم المؤلفين 38/2.

(3) الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، 566/1.

(4) الأصول، ص 63.

(5) انظر: محمد بن علان الصديقي المكي، داعي الفلاح لمخبات الاقتراح، تح د. محمد درويش، أكاديمية الدراسات العليا، مصراتة، ط 1، 2009م، 1/77.

(6) عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح، من أئمة الأدب والنحو، من تصانيفه: شرح ديوان المتنبي، المحتسب في شواذ القراءات، الخصائص، ت 392 هـ. انظر الأعلام 4/204 معجم الأدباء 4/1585 إنباه الرواة 335/2.

(7) د. محمد سالم صالح، أصول النحو دراسة في فكر الأنباري، دار السلام، ط 1 2006م، ص 305.

(8) انظر: أبو عبد الله محمد بن الطيب الفاسي، فيض نشر الانشراح من طي روض الاقتراح، 747/2.

(9) الأصول، ص 39

(10) عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي، انظر: القفطي، إنباه الرواة 2/ 105.

(11) عيسى بن عمر الثقفي، انظر: رضا عمر كحالة، معجم المؤلفين، 29/8.

وله قياس في النحو ومذاهب يتفرد بها⁽¹⁾ "وأيضاً "وكان الغاية في استخراج مسائل النحو وجمع القياس القياس فيه"⁽²⁾ وأيضاً "أخطئ في مائة مسألة لغوية ولا أخطئ في واحدة قياسية"⁽³⁾.

وهناك من يعد النحو كله قياساً على أصول سمعت من العرب كما هو الحال عند الكسائي الذي قال:

إنما النحو قياس يتبع وبه في كل أمر ينتفع⁽⁴⁾

وقال الأنباري : ((من أنكر القياس فقد أنكر النحو))⁽⁵⁾.

ويلخص ابن جني المسألة فيقول: ((ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب))⁽⁶⁾. وقد أورد الدكتور تمام حسان في كتابه الأصول مثلاً⁽⁷⁾ على القياس ليوضحه للقارئ، يقول إن الطفل يولد على فطرة تمكنه من تعلم اللغة ويكون تعلمه إياها على طريقة تعلم الكليات - القاعدة العامة. ثم إذا كبر صار يفصل هذه القواعد إلى جزئيات وقواعد أخص بينها على القاعدة العامة التي تحصل عليها في صغره؛ فالطفل مثلاً يتعلم أن الفرق بين المذكر والمؤنث هو التاء فحسب، كما في: طويل... طويلة، كثير... كثيرة، جميل... جميلة، فينطلق يطبق هذه القواعد العامة على كل ما يسمع فتراه يقول: أحمر... أحمر، عطشان... عطشانة، سكران... سكرانة. ألا يعد هذا من باب القياس؟! ثم تراه يتعلم مع نمو عقله أن لهذه الكلمات صيغ أخرى للتأنيث ولا يجوز تأنيثها على قاعدة التاء التي تعلمها، فهو قد استنبط حكماً جديداً عن طريق استعمال القياس ((وهذا القياس الاستعمالي ما يطبقه مجمع اللغة العربية في صوغ مصطلحات وألفاظ الحضارة؛ لأن المبدأ الذي يحكم عمل المجمع في هذا الحقل هو القاعدة التوجيهية التي لخصها ابن جني...))⁽⁸⁾

لكن ابن فارس⁽⁹⁾ لا يذهب هذا المذهب في القياس، نعم؛ هو يقول بالقياس وضرورته في النحو، وأن

(1) يونس بن حبيب، انظر: السيرافي، أخبار النحويين البصريين ص 28.

(2) الخليل بن أحمد الفراهيدي، انظر: السيرافي، أخبار النحويين البصريين ص 31.

(3) أبو علي الفارسي، انظر: السيوطي (ت: 911هـ)، انظر: بغية الوعاة 1/497.

(4) البيت من بحر الرمل، السيوطي (ت: 911هـ)، بغية الوعاة 2/164.

(5) لمع الأدلة في أصول النحو، ص 95.

(6) أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، عالم الكتب بيروت، تح: محمد النجار 1/114.

(7) أنظر لأصول تمام حسان: ص 151.

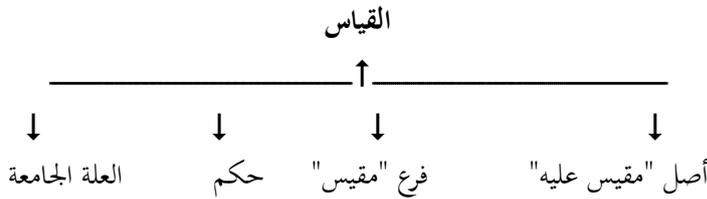
(8) الأصول ص 153 - 154.

(9) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، أبو الحسن، عالم باللغة والأدب، أصله من قزوين، وعاش في الري ومات بها، من تصانيفه: الصحاحي في فقه اللغة، المقاييس، المحمل، ت 395هـ. انظر: الأعلام 1/193 إنباه الرواة 1/127.

العرب تقيس مفردات اللغة على بعضها، ولكنه لا يرى أن من حق المتأخرين القياس على الأولين، كما يقول الدكتور تمام حسان وغيره، فاللغة عند ابن فارس توقيف لا اصطلاح، لدى تبصره يقول: ((أجمع أهل اللغة - إلا من شدّ عنهم - أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن اسم الجن مشتق من الاجتنان، وأن الجيم والنون يدلان أبداً على الستر ... وليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه، ولا أن نقيس قياساً لم يقيسوه؛ لأن في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها ... ف اللغة لا تأخذ قياساً نقيسه الآن نحن.))⁽¹⁾

أركان القياس:

للقياس أركان أربعة، أصل وهو المقيس عليه، وفرع وهو المقيس، وحكم، وعلّة جامعة ((وذلك مثل أن تركيب قياساً في الدلالة على ما لم يسم فاعله فتقول اسم اسند الفعل إليه مقدم عليه فوجب أن يكون مرفوعاً، قياساً على الفاعل، فالأصل هو الفاعل، والفرع هو ما لم يسم فاعله، [أي نائب الفاعل] والحكم هو الرفع، والعلّة الجامعة هي الإسناد))⁽²⁾ فالمقيس عليه هو الأصل وقد يكون فرعاً مطرداً، والمقيس هو غير المنقول من كلام العرب، والعلّة هي الأمر الجامع بين المقيس والمقيس عليه، والحكم هو و ما ينسحب من المقيس عليه إلى المقيس 3.



أنواع القياس:

للقياس نوعان: أولهما القياس اللغوي ويسمى القياس التطبيقي أو القياس الاستعمالي، وآخرهما القياس النحوي ويسمى قياس الأحكام؛ أما القياس اللغوي فهو تطبيق للنحو وليس نحواً، وهو وسيلة كسب اللغة في الطفولة، وهو ما يطبقه مجمع اللغة العربية اليوم كما مر. أما القياس النحوي فهو ما يقوم به الباحث من حمل غير المنقول على المنقول، ولعل الذي دعا المؤرخين إلى وصف الحضرمي بأنه "أول من مد القياس" هو علمهم أن الحضرمي قد حول النحو من طابع "الانتحاء" التطبيقي الذي رسمه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -

(1) ابن فارس، الصحاحي في فقه اللغة، تح الشيخ أحمد صقر، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1997م، ص 35 - 36.

(2) سعيد الأفغاني، في أصول النحو، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1994م، ص 108.

(3) انظر: الأصول، ص 58.



بقوله : "أنح " هذا النحو، إلى الطابع النظري الذي يتسم بقياس حكم غير مسموع على الحكم المسموع الذي في معناه⁽¹⁾.

المطلب الثاني: في المدرسة البغدادية وذكر أهم روادها

المحور الأول: نبذة تاريخية

اسم بغداد، أعجمي و هو فارسي معرب، ومعناه، عطية الله و هبته، وقيل معناه " أعطني البستان " وهو سن "بغ داد" وفيه ست لغات، بغداد وبغدان وبغداد - وينكر هذا البصريون لوقوع المعجمة بعد المهملة - ومغداد وتسمى مدينة السلام أيضا ؛ لأن دجلة يقال لها وادي السلام، وقيل في اسم بغداد غير ذلك.⁽²⁾

كانت بغداد حضرة الخلافة العباسية وهي السوق التي كانت يروج فيها العلم والأدب، وكان يرحل إليها العلماء من الأقطار كافة، كل يحمل لها طابع بلده الخاص، وألوان مختلفة من الفنون، والطوابع، تمازجت وأضيفت لها ألوان جديد مطبوعة باللمسة البغدادية⁽³⁾، وكل ذلك لعراقة هذه المدينة ومكانتها بين الأمصار العربية . فقد بنى المدينة أبو جعفر المنصور⁽⁴⁾ سنة خمس وأربعين ومائة، بناها على شكل دائرة وصفها الجاحظ فقال: قد رأيت المدن العظام، المذكورة بالإتقان والأحكام، كبلد الروم والشامات وغيرها، فلم أر قط أرفع سمكاً، ولا أجود استدارة، ولا أحكم سوراً، وفصيلاً من مدينة المنصور، كأنما صبت صبا في قالب وأنشد يقول⁽⁵⁾:

يا حبذا بغداد من بلد	يا ليتني أوطنت بغدادا
لم تر عيني مثلها بلدة	طيبة صدرأ وإيراداً
إن ردي الله إلى أهلها	لـم أتزود للنوى زادا

(1) انظر: مطير بن حسن المالكي، موقف علم اللغة الحديث من أصول النحو العربي ، رسالة ماجستير، اشراف، أ. د . سليمان بن إبراهيم العايد، جامعة أم القرى، ص 64 - 65.

(2) انظر باقوت الحموي، معجم البلدان، دار الفكر العربي بيروت، 1/456 .

(3) انظر: سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو العربي، ص 93.

(4) عبدالله بن محمد بن علي بن العباس، أبو جعفر، المنصور، ثاني خلفاء بني عباس، ت 158هـ. الاعلام 4/117.

(5) انظر: أبو عبدالله أحمد بن محمد ابن الفقيه، البلدان ، تح يوسف الهادي، دار عالم الكتب، بيروت، 1996م، ص 286، 314.

المحور الثاني: نشأة المدرسة البغدادية

بدأ النحو - كما مر - في البصرة، ونشأ في أحضان أوائل علمائها، ولما أخذ أبو جعفر الرؤاسي⁽¹⁾ عن عيسى بن عمر⁽²⁾ هذا العلم وعاد به من الكوفة صار يعلمه، فأخذ عنه الكسائي وبهما نشأ المذهب الكوفي وظهرت معالم هذا المذهب جلية على يد الكسائي وتلميذه الفراء⁽³⁾، فهما من رسم صورة النحو الكوفي، ووضع أسسه وأصوله⁽⁴⁾، ثم ما لبث أن اشتد أزر هذا المذهب، وبدأت المنافسة بين رواد المدرستين، وكثر الخلاف، وظهرت المناظرات والمؤلفات، وعقدت الندوات والحلقات، وكل ذلك من شأنه أن يدفع بعجلة هذا العلم إلى الأمام حتى إنهم كادوا لم يتركوا مسألة في اللغة إلا تكلموا فيها، وذلك لما كان من الاشتراك بين البلدين في النهوض بهذا الفن والمنافسة في الظفر بشرفه، فاستقرؤوا كلام العرب، والمأثور عنهم، وأعملوا الفكر في استخراج القواعد. ولما صار أمر البصريين إلى محمد بن يزيد المبرد، والكوفيين إلى أبي العباس ثعلب ((وبعد أن توطدت أقدامهما في بغداد منتصف القرن الثالث الهجري))⁽⁵⁾، فصارا يتناظران بمذهبيهما على مرأى من العلماء الذين تنوعت اختياراتهم من مؤيد بصري، وآخر كوفي، وثالث قد خلط بين المذهبين، وظل الحال على حاله حتى أواخر القرن الثالث الهجري والعلماء يعرضون المذهبين على بساط البحث والنقد، وتبين الشواهد والأقيسة وما فيها من صحة أو ضعف حتى يكون الاختيار على أساس سليم، ومع ذلك لم ينزل فيهم من يميل إلى مذهب دون آخر، فكان أول هؤلاء المختارين يمثلون المذهب البغدادي أو المدرسة البغدادية، و ((أهمهم ابن كيسان⁽⁶⁾

وابن شقير⁽⁷⁾ وابن الخياط⁽¹⁾)⁽²⁾

(1) محمد بن أبي سارة الكوفي، الرواسي، أبو جعفر، لقب بالرواسي لكبر رأسه، أول من وضع كتابا في النحو من أهل الكوفة من تصانيفه: معاني القرآن، الوقف والابتداء، ت 187 هـ انظر: الأعلام 1/271 بغية الوعاة 82/1.

(2) عيسى بن عمر الثقفي، أبو سليمان، من أئمة اللغة، وأول من هذب النحو ورتبه، قرأ عليه سيبويه والخليل وابن العلاء، من تصانيفه: الجامع، والإكمال، في النحو، وقد احترق أكثرها، ت 149 هـ. انظر: الأعلام 5/106 بغية الوعاة 2/237 فهرست بن النديم ص 62.

(3) يحيى بن زياد بن عبد الله، أبو زكريا، المعروف بالفراء، نحوي كوفي و عالم باللغة والأدب، من تصانيفه . معاني القرآن، كتاب اللغات، مشكل اللغة، ت 207 هـ. انظر: الأعلام 145/8 الأنساب للسمعاني 4/352 بغية الوعاة 2/333.

(4) انظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية ص 154.

(5) الشيخ محمد طنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، ط 2، ص 170.

(6) محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الحسن، المعروف بابن كيسان، لغوي نحوي من أهل بغداد، أخذ عن المبرد و ثعلب، من تصانيفه : تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها، المهذب في النحو، المختار في علل النحو، ت ووده. انظر: الأعلام 5/308 انباه الرواة 57/3.

(7) أحمد بن حسن بن الفرج، أبو بكر بن شقير، عالم بالنحو البغدادي، من تصانيفه مختصر في النحو المقصور والممدود، المذكر والمؤنث، ت 317



وبذلك ظهرت طائفة جديدة في النحو تبني مذهبها على ترجيح مسائل من مذهب البصريين وأخرى من مذهب الكوفيين، وكان عمل هذه الطائفة منصبا على استقرار ما صح من القوانين النحوية دون التمييز بين فريق وآخر، ليكون بذلك مذهب جديد مؤلف من المذهبين مع وجود بعض الفروق القليلة وظهور قواعد لم تكن في المذهبين تولدت لهم من اجتهاداتهم قياسا وسماعا⁽³⁾.

ومن هذه المسائل:

- جواز عدم الفصل بين أن المخففة والفعل المتصرف، قال الرضي⁽⁴⁾: ((وحكى المبرد عن البغدادية علمت أن تخرج، بالرفع بلا عوض وذلك شاذ))⁽⁵⁾
- جواز اتباع محل المعطوف عليه مع عدم أصالته، قال ابن هشام بعد ذكر الشرط الأول صحة العطف عليه: ((الثاني أن يكون الموضوع بحق الأصالة فلا يجوز هذا ضارب زيدا وأخيه؛ لأن الوصف المستوفي لشروط العمل الأصل إعماله لا إضافته لالتحاقه بالفعل وأجازته البغداديون تمسكا بقوله:⁽⁶⁾
- فزل طهارة اللحم ما بين منضج *** صفيف شواء أو قدير معجل))⁽⁷⁾
- تقدير عامل النصب في وجه وأختيها من مادتها ((وذهب بعض البغداديين إلى أن وجه وويله وويسه منصوبة بأفعال من لفظها))⁽⁸⁾

317 هـ. انظر: الأعلام 1/110 بغية الوعاة

(1) المدارس النحوية، ص 246.

(2) المدارس النحوية، ص 246.

(3) انظر: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ص 185.

(4) محمد بن الحسن الرضي الأسترابادي، نجم الدين (ت 684هـ): عالم بالعربية من أهل أستراباذ (من أعمال طبرستان) اشتهر بكتابه (الوافية في شرح الكافية لابن الحاجب، وشرح مقدمة ابن الحاجب المسماة بالشافية في علم الصرف . الأعلام 86/6، وخزانة الأدب، للبغدادى 12/1.

(5) الرضي الأسترابادي شرح الرضي على الكافية، ط 1978 م، 34/4.

(6) البيت من الطويل وهو لأمرئ القيس في ديوانه ص 22، شرح الأشموني الشاهد رقم 836 مغني اللبيب رقم 82 لسان العرب مادة صفف، طها اللغة - الصفيف: المصفوف الشبيه، القدير: ما طبخ بالقدر، المعنى: كان الخصب كثيرا والصيد وافرا، فكثرت الطهي بين شواء وطبخ بالقدر، الشاهد فيه: عطف "قدير" بالجر على صفيف المنصوب.

(7) ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، 2009 م، 138/2.

(8) الشيخ خالد الأزهرى، شرح التصريح على التوضيح، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1 2000 م، 500/1.

- جواز بناء اسم (لا) مع ارتباط الظرف والجار به، قال الرضي: ((وحكى أبو علي عن البغداديين أنهم يجيزون كون الظرف والجار والمجرور في نحو "لا أمر بالمعروف و {لا عاصم اليوم من أمر الله} (1) من صلة المنفي المبني)) (2).

واستمر هذا المذهب في قوته وعنفوانه إلى أن ((تضعض شأن الخلافة العباسية بغلبة البويهية عليها، فحينذاك تمزق الشمل وتفرق العلماء، وما المذهب البغدادى إلا مذهب العلماء في بغداد، فكلما انتشر جمعهم انفرط عقده... وكان على سبيل التقريب بعد منتصف القرن الرابع الهجري ... ويرى العلماء أن انفرط عقد المذهب البغدادى يعد حدا فاصلا بين المتقدمين والمتأخرين)) (3)

والمقصود بانفرط عقد المذهب هو فقد المذهب لقوته التي كان عليها، ونزعتها التي اكتسبها في أوج كماله، ولا يقصد بالانفرط ضياع المذهب؛ لأن المذهب باق ما بقي هذا العلم؛ لأن العلم لا يفقد بل يفقد الرجال " العلماء " فإن هم ورتوا جهدهم لمن هو أهله صانته، وإلا اندثر وضاع، ولم يضع شيء من النحو العربي بصرية وكوفية وبغدادية وغير ذلك، بل هو باق؛ لأن الله جعله حرزا لحفظ كتابه الكريم (4).

المحور الثالث: ذكر بعض رواد المذهب البغدادى وبيان رأيهم في السماع والقياس.

سنذكر هنا بعضا من علماء المذهب البغدادية، وسنبحث - بمشيئة الله - عن ضالة هذا البحث عندهم، ألا وهي السماع والقياس في المدرسة البغدادية، وسنكتفي هنا بأشهر اثنين منهم وهما: أبو البركات الأنباري، وابن جني.

- أبو البركات الأنباري:

لعل كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف الذي عقده في المذهبين البصري والكوفي خير دليل على دراسته للمذهبين، ثم إن آراءه التي أوردها على كل مسألة من مسائل هذا الكتاب هي ما يمثل رأي المذهب البغدادى عند الأنباري. فهو يقول في مقدمة الإنصاف: ((وذكرت من مذهبي كل فريق ما اعتمد عليه أهل التحقيق واعتمدت في النصرة على ما أذهب إليه من مذاهب أهل الكوفة أو البصرة على سبيل الإنصاف، لا التعصب والاسراف ...)) (5)

أما عن رأيه في السماع والقياس النحوي فهو يقول: ((أعلم أن إنكار القياس في النحو لا يتحقق؛ لأن النحو كله قياس، ولهذا قيل في حد النحو: علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، فمن أنكر القياس

(1) سورة هود من الآية 43

(2) الرضي الاسترابادي، شرح الرضي على الكافية 159/2 - 160.

(3) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ص 190 - 191.

(4) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ص 190 - 191.

(5) الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة ط 2009م، 25/1.



فقد أنكر النحو⁽¹⁾ وحد القياس عنده ((حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه))⁽²⁾ فقد جعل الأنباري القياس أصلا من أصول النحو، ونصب لمن يقول بضد هذا المفهوم - وهو السماع - الكتابات وعقد له الأبواب والفصول كما في باب "الرد على من أنكر القياس" وباب "في حل شبه تورده على القياس"⁽³⁾

ولكن ابن الأنباري لا يرى بالقياس على المنقول الشاذ، بل القياس عنده لا يكون إلا على المسموع المطرد فقط، أما الشاذ المخالف للأصل لا يجوز القياس عليه؛ لأن ذلك يعد فساداً للغة ((إنما يصح القياس النحوي على ما كثر من النصوص المنقولة التي تصلح للقياس عليها، ومن ثم لا يميز الأنباري القياس على الشاذ أو النادر أو القليل؛ لأن ذلك يؤدي إلى اضطراب المقاييس والقواعد مما يبطل صناعة الإعراب بأسرها))⁽⁴⁾، ولما ذكر الكوفيون أبياتاً استشهدوا بها في مسألة "هل يجوز توكيد النكرة توكيداً معنوياً" التي ذكرها في الإنصاف رد عليهم بقوله:

((ثم لو قدرنا أن هذه الأبيات التي ذكرها كلها صحيحة عن العرب وأن الرواية ما ادعوه لما كان فيها حجة؛ وذلك لشذوذها وقتتها في بابها، إذ لو اطردها القياس في كل ما جاء شاذاً مخالفاً للأصول والقياس وجعلناه أصلاً وذلك يفسد الصناعة بأسرها، وذلك لا يجوز))⁽⁵⁾

ولما تكلم عن جازم جواب الشرط قال: ((ذهب الكوفيون إلى أنه مجزوم على الجوار؛ لأن جواب الشرط مجاور لفعل الشرط فكان محمولاً عليه في الجزم والحمل على الجوار كثير في كلامهم قال الشاعر⁽⁶⁾:

كأنما ضربت قدام أعينها قطناً بمستحصل الأوتار مخلوج

فكان يقتضي أن يقال "مخلوجاً" فخفضها على الجوار، وكقول الآخر⁽⁷⁾: (كأن نسج العنكبوت المرملة) وكقولهم "جحر ضب حرب" وما أشبه ذلك، وهذا ليس بصحيح؛ لأن الحمل على الجوار قليل، يقتصر فيه

(1) مع الأدلة، ص 93.

(2) الإعراب في جدل الإعراب، ص 45 - 46.

(3) انظر: مع الأدلة ص 105:95.

(4) د. محمد سالم صالح، أصول النحو العربي في فكر الأنباري، دار السلام، ط 1، 2006 م، ص 456.

(5) الإنصاف في مسائل الخلاف، 2/27.

(6) البيت من البسيط وهو لذى الرمة، انظر الإنصاف رقم 390.

اللغة: القطن نبات معروف، مستحصل الأوتار أي الأوتار المستحصدة من إضافة الصفة إلى الموصوف، مخلوج أي مندوف من حلج القطن يلحجه إذا ندفه. الشاهد فيه: خفض مخلوج على الجوار وكان ينبغي أن يقول مخلوجاً؛ لأنه صفة للقطن المنسوب.

(7) البيت من الرجز المشطور وهو للعجاج، انظر كتاب سيبويه 1/437، الإنصاف رقم 391، لسان العرب مادة عنكب.

اللغة: المرملة المنسوج. الشاهد فيه: خفض المرملة على الجوار ومحل نصب صفة لنسج.

على السماع ولا يقاس عليه لقلته⁽¹⁾

- أبو الفتح عثمان بن جني

إذا أردنا معرفة رأي ابن جني في أمر من أمور اللغة فما علينا إلا الرجوع إلى موسوعته التي سماها "الخصائص" فهي تعد بحق موسوعة لغوية بكل ما تحملها الكلمة من معنى، تكلم فيها على شتى فنون العربية، من نحو، وصرف وأصول، وقراءات، ولغة وغير ذلك، قال في مقدمته: ((هذا... كتاب لم أزل على فرض الحال وتقادم الوقت ملاحظا له عاكفا عليه... واعتقادي فيه أنه من أشرف ما صنف في علم العربية في طريق القياس والنظر... وأجمعه للأدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة... وذلك أنا لم نر أحدا من علماء البلدين [البصرة والكوفة] تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقهاء...⁽²⁾) يقول عنه الأستاذ سعيد الأفغاني: ((أما إذا وصلنا إلى ابن جني فقد تبوأنا ذروة القياس وفلسفته⁽³⁾)).

ففي الخصائص عقد ابن جني بابا سماه "باب في مقاييس العربية" وذكر فيه أن مقاييس اللغة ضربان لفظي ومعنوي، وأوسعها القياس المعنوي، والقياس اللفظي لا يخلو أن يرجع فيه إلى القياس المعنوي⁽⁴⁾ إن ابن جني لا يرى فرقا بين ما سمع عن العرب وما قيس على ذلك قياسا فهو يرى أن المقيس من كلام العرب هو من كلام العرب حيث يقول: ((واعلم أن من قوة القياس عندهم اعتقاد النحويين أن ما قيس على كلام العرب فهو عندهم من كلام العرب))⁽⁵⁾ بل إن ابن جني يذهب بفكره الثاقب إلى أبعد من ذلك؛ بأن جعل العرب قد امتنعت في كلامها عن استعمال ما يجوز في القياس ((كاستغنائهم بقولهم ما أجود جوابه عن قولهم ما أجوبه... وكاستغنائهم بكاد زيد يقوم عن قولهم كاد زيد قائما أو قياما... قال تأبط شرا⁽⁶⁾):

فأبت إلى فهم وما كدت آتبا وكم مثلها فارقتها وهي تصفر))

ولعل شدة انحياز ابن جني للقياس دون السماع جعلته يرد القراءة التي خالفها القياس عنده، فقد قال عن قراءة أبي عمرو⁽⁷⁾ "يغفر لكم" بإدغام الراء في اللام: ((واعلم أن الراء لما لها من التكرار لا يجوز إدغامها فيما

(1) الأنباري، أسرار العربية، تح فخر الدين صالح قباوة، دار الجيل بيروت، 1995م

(2) أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح محمد علي النجار، عالم الكتب بيروت، 2/1.

(3) سعيد الأفغاني، في أصول النحو ص 91.

(4) انظر: ابن جني، الخصائص، 110/1.

(5) نفسه، 114/1.

(6) البيت من الطويل وهو لتأبط شرا، انظر: الإنصاف رقم 317، الأشموني رقم 231، أوضح المسالك 118

اللغة: أئب اسم فاعل من آب يؤوب أي رجع، تصفر تتأسف

الشاهد فيه "وما كدت آتبا" حيث جاء الشاعر بـ "كاد" اسما مفردا منصوبا والأصل في خبرها أن يكون جملة فعلية فعلها مضارع

(7) زيان بن عمار التميمي، أبو عمر، ويلقب أبوه بالعلاء، أحد القراء السبعة، عالم باللغة والنحو، ولد بمكة، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة سنة

154 هـ. انظر الأعلام 2/41 إنباه الرواة 131/4.



يليه من الحروف؛ لأن إدغامها في غيرها يسلبها ما فيها من الوفور بالتكرار، فأما قراءة أبي عمر "يغفر لكم" بإدغام الراء في اللام فمدفوع عندنا، و غير معروف عند أصحابنا، إنما هو شيء رواه القراء ولا قوة له في القياس⁽¹⁾.

ولعل سائلا يسأل: إذا كان القياس هو مذهب ابن جني فهل يقيس على الشاذ والقليل؟. والحقيقة أن ابن جني لا يقول بالقياس على الشاذ. ألا تراه عندما تكلم عن قوله تعالى: "استحوذ عليهم الشيطان"⁽²⁾ قال: ((فهذا ليس بقياس لكنه لا بد من قبوله لأنك إنما تنطق بلغتهم وتقتدي في جميع ذلك أمثلتهم، ثم إنك بعد لا تقيس عليه غيره، ألا تراك لا تقول في استقام استقوم...))⁽³⁾.

ذكر ابن جني أن كلام العرب من حيث الشذوذ والاطراد أربعة أقسام⁽⁴⁾

- مطرد في القياس والاستعمال، نحو قام زيد .
- مطرد في القياس شاذ في الاستعمال، وذلك كما في ماضي يذر ويدع .
- مطرد في الاستعمال شاذ في القياس، نحو قولهم "أخوص الرمث" و "استصوبت الأمر".
- شاذ في القياس والاستعمال معا، كقول الشاعر⁽⁵⁾:

له زجل كأنه صوت حاد إذا طلب الموسيقى أو زمير

(1) أبو الفتح عثمان ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح د. حسن هندواوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1985م، 193/1.

(2) سورة المجادلة، من الآية (19).

(3) أبو الفتح بن جني، الخصائص، 119/1.

(4) انظر: نفسه، 98-99/1.

(5) البيت من الوافر وهو للشماخ، في كتاب سيبويه 1/30، لسان العرب مادة زجل، الإنصاف الشاهد رقم 335، الخصائص 1/127 . اللغة :

الزجل صوت فيه حنين، الحادي الذي يتغنى الإنبل، الزمير صوت المزمارة، الموسيقى أنثى حمار الوحش

المعني : أراد أنه إذا طلب حمار الوحش أنثاه له صوت كصوت الحادي أو المزمارة

الشاهد فيه . قوله " كأنه " أتى بـهاء الكناية ليس على حد الوصل ولا على حد الوقف، فالوصل تمكينها وإوًا كما في " لهو " أول البيت، والوقف

بالسكون فتقول : كأنه .

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر وهدى، وصلاة ربي وسلامه على الحبيب المصطفى، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

ويعد...

تم بحمد الله وعونه ذكر ما تيسر جمعه عن مسألة السماع والقياس عند البغداديين، ملخصة في الآتي :
- كانت نشأة النحو الأولى في أحضان المدرسة البصرية، وتطور عندما حصل التنافس بينها وبين المدرسة الكوفية .

- كاد النحو أن يكتمل على أيدي هاتين المدرستين إلا بعض الآراء التي تعد بمثابة تعليقات إضافية لا قواعد أساسية.

- يعتبر السماع والقياس من أهم أدلة النحو ويمكن توضيح الاستدلال بهما في الشكل الآتي⁽¹⁾

الاستدلال في اللغة

السماع

تجريد الأقيسة

تجريد الأصول

علة محمول أو مقيس

شاذ لا يقاس عليه مطرد يقاس عليه حكم

رد الفرع أو المعدول به

الأصول أو الاستصحاب عدول

- توسع الكوفيون في القياس فإذا كان شرط صحة القياس عند البصريين الكثرة فإن ذلك أمر لا يحرص عليه الكوفيون

- أطلق الأنباري على السماع مصطلح "النقل" وحدده العلماء بزمان ومكان مخصوصين .

- من أنكر القياس فقد أنكر النحو في نظر الأنباري وما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب في نظر ابن جني.

- المدرسة البغدادية مدرسة قياس فهي أقرب في منهجها إلى منهج المدرسة الكوفية من المدرسة البصرية، وجل ما أضاف روادها من تعليقات اعتمدوا فيها على القياس لا على السماع .

- أهم رواد المدرسة البغدادية هم: أبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني، وابن كيسان، الزجاجي، الزمخشري، الأنباري، العكبري، ابن يعيش، الرضى الاسترابادي، ابن الشجري.

وفي الختام أسأل الله النفع والانتفاع، فهو ولي ذلك والقادر عليه !

(1) انظر: تمام حسان، الأصول، ص 64 .



المصادر والمراجع

- . أسرار العربية، الأنباري، تح فخر الدين صالح قباوة، دار الجيل بيروت، 1995م.
- . أصول التفكير النحوي، على أبو المكارم، دار غريب، القاهرة، ط1، 2007م .
- . أصول النحو العربي في فكر الأنباري، محمد سالم صالح، دار السلام، ط1، 2006م .
- . الأعلام، 1: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م
- . الاقتراح في أصول النحو، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ).
- . الإنصاف في مسائل الخلاف، الأنباري، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة ط 2009م.
- . البلدان، أبو عبدالله أحمد بن محمد ابن الفقيه، تح يوسف الهادي، دار عالم الكتب، بيروت، 1996م.
- . البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت - 1407، الطبعة: الأولى.
- . خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبدالقادر بن عمر البغدادي (ت 1093هـ)، تح: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997/4م.
- . الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تح محمد علي النجار، عالم الكتب بيروت.
- . الصحابي في فقه اللغة، ابن فارس، تح الشيخ أحمد صقر، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1997م.
- اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، نادية رمضان النجار، مراجعة: د. عبدة الراجحي، دار الوفاء، الإسكندرية.
- . المدارس النحوية، أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهرير بشوقي ضيف (المتوفى: 1426هـ)، دار المعارف.
- . المزهري في علوم اللغة العربية، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، تح فؤاد علي منصور، ط1، 1998م.
- . المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات وغيرهم، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة.
- . الموسوعة العربية العالمية.

- . الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيك بن عبد الله الصفدي (ت: 764هـ) تح: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت 2000م.
- . الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيك بن عبد الله الصفدي (ت: 764هـ) تح: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى الناشر: دار إحياء التراث - بيروت 2000م.
- . إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: 646هـ)، المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1424 هـ.
- . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم؛ المكتبة العنصرية - لبنان / صيدا.
- . تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، دار الهداية.
- . جلال الدين السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، تح: د. أحمد سليم الحمصي، ومحمد أحمد القاسم، ط 1988م.
- . داعي الفلاح لمخبات الاقتراح، محمد بن علان الصديقي المكي، تح د. محمد درويش، أكاديمية الدراسات العليا، مصراتة، ط 1، 2009م.
- . ديوان جرير.
- . سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان ابن جني، تح د. حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، ط 1، 1985م.
- . سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، دار الحديث - القاهرة، الطبعة: 1427هـ-2006م.
- . شرح التصريح على التوضيح، الشيخ خالد الأزهرى، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1 2000م.
- . شرح الرضى على الكافية، الرضى الاسترابادي ط 1978م.
- . طبقات النحويين واللغويين : أبوبكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت 379 هـ) تح :محمد أبو الفضل إبراهيم / مصر / ط : 1/1954م.
- . في أدلة النحو، عفاف حسانين، المكتبة الأكاديمية، 1996م.
- . في أصول النحو، سعيد الأفغاني، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 1994م.



- . في علم اصول النحو العربي، علي أبو القسم عون دار الوليد، ليبيا، ط2، 2012م.
- . فيض نشر الانشراح من طي روض الاقتراح، أبو عبد الله محمد بن الطيب الفاسي.
- . لسان العرب، ابن منظور، دار صادر.
- . معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار الفكر العربي بيروت.
- . مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، 2009م.
- . مقاييس اللغة، ابن فارس، تح عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، 1979م.
- . من تاريخ النحو العربي، سعيد الأفغاني.
- . موسوعة علوم اللغة، لإميل يعقوب.
- . موقف علم اللغة الحديث من أصول النحو العربي، رسالة ماجستير، مطير بن حسن المالكي، إشراف، أ. د. سليمان بن إبراهيم العايد، جامعة أم القرى.
- . نزهة الألباء في طبقات الأدباء أبو بكر الأنباري نزهة الألباء في طبقات الأدباء.
- . نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، للشيخ الطنطاوي.
- . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد ابن خلكان (المتوفى: 681هـ)، تح: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة: 1900 1.



The two evidence of hearing and measurement and their impact on the Baghdad school

* Mohammed Miftah Mohammed Showakha

** Mohammed Hadya Salim Al-Razini

Abstract :

Hearing and measurement at the Baghdadis can be summed up as follows :

- The emergence of grammar was in the arms of the Bisra School , and was developed when the completion was happened between the Kufis and the Bisra School.
- The grammar was about to be completed at the hands of these two schools, except some opinions which were considered as an additional amendments and not as basic rules .
- The hearing and measurement were considered as the most important rules in the grammar and the explanation could be shown as follows :

Indication with the language

The hearing

Extraction of origins

Not odd can be
Measured up not

Odd not to be
Measured upon

Reason , carried

Or measured

Returning the branch

Back or balanced with

- The Kufic enlarged the measurement, if it was a condition of correction at the most Bisrayins , that was not a matter for the kufis to care of .
- The Anbari described "the hearing" term as a transporting , and the scientists fixed it at a specified time place .
- These who refused the measurement, were refused the grammar in the point view of the anbari, and what was measured upon the language of the Arabs, it was the Arabs tongue according to Ibin Gini
- The Baghdadi school was a school of measurement, it was very near in its system to the kufi school more than to the Bisra school, most of the supporters of the Baghdadi school added expressions , they depended upon the measurement and not to the hearing .
- The most important of the Baghdadi school where : Abu Ali Al Farrsi and his student Ibin Gini , Ibin Kisan, Alzagagi , Alzakhshari , Alanbari , Alkoabari, Ibin Yaa-ish, Al-Rida Al-Istrabadi and Ibin Al-Shgari .

* Department of Arabic Language - College of Education - Al-Asmariya Islamic University – Zliten , mo87ftah@gmail.com

** Department of Arabic Language - College of Education - Al-Asmariya Islamic University – Zliten , mo.alrziney@asmarya.edu.ly